سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق 1885-1951. •

عرض: سمير عبد الرسول العبيدي • •

مقدمة :

تجتذب الكتابة عن الشخصيات التاريخية عدداً متزايداً من الباحثين والكتاب ، ويعزى سبب ذلك لكونها نوعاً غير تقليدي من الجهد المعرفي ، فالباحث في هذا النطاق لا يتعامل مع المصادر تعاملاً تقليدياً، بل وزيادة على ذلك فانه يصبح بإمكانه أن تكون له سمة خاصة من دون الإخلال بشروط ومقومات البحث الأكاديمي .

إن الحيز الممنوح هنا يتناسب وبشكل مباشر مع حجم الجهد المبذول من الباحث ، أي بمعنى أنه كلما نجح في الإلمام بجوانب الموضوع، نجح في الاسترسال في أرائه واستنتاجاته، ذلك أن الاستنتاج لا بد وان يبنى على حقيقة علمية .

• رسالة ماجستير منشورة للباحثة خولة طالب لفته (جامعة البصرة ، كلية الآداب)

• • قسم الدراسات التاريخية – مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

إضافة إلى ما تقدم ذكره يعتمد النجاح والتميز في هذا المضمار على امتلاك خبرة حياتية وعلى حسن تدبير الأمور ، إذ إن الشخص المعني لا بد وأن يتحرك على عدة مسارات يمتزج فيها العام والخاص ، وهو في كل ذلك يجب أن يكون سعيه الدائم هو البحث عن الحقائق العلمية ، وفي الختام فإن الأمر يتخذ شكل الهواية لذا نجد هناك عدداً من دور النشر والباحثين والمحققين (نجدة فتحي صفوة ، د. محمد حسين الزبيدي ، ...) ممن عرفوا بالإجادة في هذا المضمار .

سمات الشخصية .

لدى دراسة شخصية سليمان فيضي (1885–1951) ، تبرز سمة أساسية كونه يمثل شخصية المثقف العراقي المتعدد الاهتمامات ، إذ إنه كان ناشطاً في مجالات عدة منها التعليم والصحافة والقانون والزراعة ، وسجل حضوراً في مجمل الأحداث التي شهدتها مدينة البصرة ، وقد ساعدته الظروف في ذلك إذ كانت الدولة العثمانية تعيش أيامها الأخيرة ،رافق ذلك سعي جميع الأطراف المؤثرة سواء منها المحلية أو الإقليمية أو الخارجية لإيجاد موطأ قدم لها في البصرة بحكم موقعها الاستراتيجي، وكونها المنفذ المائي الوحيد للعراق وبوابته على العالم الخارجي ، إضافة لما تتمتع به من تاريخ حافل دفع بالعثمانيين إلى تسمية الخليج العربي «بخليج البصرة»، ناهيك عن كونها تمتلك حدوداً مباشرة مع نجد والحجاز والكويت وإمارة المحمرة إضافة إلى بلاد فارس.

إذا أردنا أن نحدد وبوضوح أهم ما تميزت به هذه الشخصية ضمن الإطار الخاص فلا بد من أن نؤكد على أنه يمثل خروجا عن النمط المألوف للشخصيات الفاعلة إبان مرحلة الحكم الوطني (23 / 8 / 1921 – 14 / 7 / 1958) ، فهو لم يكن سياسياً نمطياً ، أي بمعنى أنه مارس السياسة بعيداً عن شغل المناصب الحكومية وقد تميز في كل ذلك بحسه الوطني – العروبي ، لذا لم يكن من المصادفة أن المرة الوحيدة التي دخل فيها مجلس النواب في دورته السادسة (1935 – 1936) ، كان في عهد وزارة ياسين الهاشمي (1884 – 1937) الثانية (1935-/3/17 29 / 10 / 1936) ، والتي تميزت بتوجهها العروبي.

إن أهم الأسباب التي جعلت من سليمان فيضي شخصية جديرة بالدراسة هي:-

1. ولد سليمان فيضي في الموصل لكنه انتقل منها إلى بغداد ومن ثم إلى البصرة التي استقر بها منذ عام 1904، وهو أمر لم يكن شائعا في ذلك الزمن ،وربما تعود حفاوة البصريين به إلى غنى وتعدد اهتماماته إذ كان قانونيا ضليعا ،ومن أوائل الذين طالبوا بإعادة الاعتبار إلى اللغة

العربية ، وأفتتح أول مدرسة للتدريس باللغة العربية في البصرة عام 1908. وفي العام التالي حصل على امتياز أول جريدة باللغة العربية في البصرة، وسماها «الإيقاظ» ، وقد نشر (89) خطبة ومقالة خلال المدة (1909-1948) ، كما ومارس التدريس والترجمة نظراً لإجادته الفارسية والتركية والإنكليزية والفرنسية ،وقد أصدر (12) مؤلفا في القانون والأدب والزراعة (إضافة إلى هذه المذكرات) .

2. أدرك سليمان فيضي أهمية أن ترى وثائقه الشخصية النور ، فحرص على أن يهيئها للنشر وطبعت فعلا عقب عام واحد من وفاته (كانون الثاني 1952) ؛ وتصدرها مقدمة للكاتب مؤرخة في 1951/1/16 أي قبل رحيله بثلاثة أيام وهو أمر له دلالات كثيرة . وربما تكون هذه سابقة في تاريخ العراق المعاصر ،إذ لم يسبق لأحد الساسة العراقيين في العهد الوطني أن قام بنشر مذكراته كاملة قبل العام 1958 ،ويبدو إن اهتمام سليمان فيضي قد انتقل إلى أبنائه أيضا الذين حرصوا على إيصال رسالة والدهم إلى الأجيال المتعاقبة من الباحثين والقراء ، فصدرت (4) طبعات منقحة من المذكرات إبان الأعوام (1952، 1974 ،1998، 2000)، وقد صدرت الطبعتان الأخيرتان بتحقيق وتقديم (باسل سليمان فيضي)، ويمكن تتبع اللمسات الخاصة به في جميع فصول الكتاب؛ كما وتضمنت الطبعة الأخيرة كلمة للأستاذ (نجدة فتحي صفوة)، ولابد من أن نشير هنا إلى أن كل طبعة جاءت بشكل أكثر اتساعا وشمولية من سابقاتها سواء من حيث المضمون أو الوثائق الشخصية المصورة مما منحها قيمة علمية مضافة ؛ كما تم ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية عقب صدور الطبعة الثانية في بيروت عام 1974 ، وهو ما قد يشكل سابقة أخرى على صعيد المذكرات الشخصية.

3. ارتبط سليمان فيضي بصلات وثيقة مع عدد من الشخصيات البارزة منها الشيخ خزعل (1863 – 1936) حاكم إمارة المحمرة، وابن سعود (1871 – 1953) وغيرها، إلا أن الشخصية الأكثر تأثيرا كان السيد طالب النقيب(1871 – 1929) [1] والذي بدأت علاقته به لدى تعيينه معتمداً للحزب الحر المعتدل في البصرة والذي افتتح في 8/6/ 1911 ، في حين ترأس طالب النقيب الحزب ، ولم تنقطع الصلة بينهما برغم النفي الطويل له على يد البريطانيين .

4. امتلك سليمان فيضي نوعاً من الذاكرة التوثيقية ، تمثل بحرصه الشديد على تسجيل جميع الوقائع التي أسهم فيها إبان سني حياته ، وهذا الأمر يحسب له إذ انه وثق بذلك واحدة من أهم مراحل تاريخ العراق المعاصر ، ويحسب له جملة من الأمور منها أنه قام بذلك بصورة طوعية كما

وحرص على تدوين أحداث ووقائع ذات طابع خاص ، أي أنها لم تكن ذات صفة رسمية ، وقد سعى في كل ذلك لمنح الحيز الحقيقي للشخصيات من دون إضافة أو اختزال .

واختتم هذه النبذة الموجزة ببعض مما كتبه (د .كمال مظهر) في مقدمة الرسالة (ص7-9) «ففي مطلع القرن العشرين ،بل حتى اليوم ليس أمرا سهلا أن يفرض مثقف قادم من الموصل في أقصى شمال العراق ،إلى البصرة في أقصى الجنوب، نفسه على ساحة الفكر والسياسة مثلما حصل ذلك مع صاحب الكتاب...، حتما إن أي وجه بارز من طينة ووزن سليمان فيضي جدير بأن يدرس تاريخ حياته ونضاله وإبداعه دراسة أكاديمية جادة تستهدف تسجيل ماله وما عليه، بغض النظر عن موقعه الرسمي... ، ويبدو واضحا من مضمون الرسالة ،ومن مصادرها ومراجعها ومنهجها العلمي الرصين واستنتاجاتها، أن صاحبتها كانت في مستوى الموضوع والمسؤولية فعلا...، ومن الجوانب الإيجابية الأخرى التي تستوقف النظر في الدراسة أن صاحبتها كشفت لنا أوجها غير معروفة من نشاطات سليمان فيضي بصورة موثقة ، ليؤلف ذلك إضافة تاريخية مهمة بالنسبة لموضوعنا ،وتتجسد أهمية ذلك الأمر أكثر إذا علمنا أن سليمان فيضي لم يترك شاردة،أو واردة إلا وسجلها بين دفتي مذكرات، وعلى صفحات (الإيقاظ) . وعلى الغرار نفسه إنها صححت بعض الأخطاء ، ووضعت أمورا محددة في نصابها على أساس تقويم موضوعي ، مما يضفي على جهدها بعدا علميا مطلوبا...»

عرض المحتويات .

تألفت الرسالة من مقدمة (ص 11-15) ومن المتن و ضمت 4 فصول (ص 17-219)، و4 جداول (ص 223 - 248) ثم الخاتمة (ص 249 - 254) وقائمة المصادر (ص 255 – 271)، وأخيرا ملاحق الكتاب (ص 275 – 290) .

جاء الفصل الأول (ص 19 - 79) بعنوان (سليمان فيضي ودوره في الحركة القومية العربية في البصرة 1885 – 1914) ، وقد اتبعت فيه الباحثة السياق العلمي المتبع لدى دراسة الشخصيات التاريخية أي التعريف بنسب ونشأة الشخصية، فذكرت أنه ولد في الموصل في 26 / 7 / 1885 لأسرة تعود إلى عشيرة المشاهدة التي يعود نسبها للسيد أحمد الرفاعي . ويتصل نسبهم بالإمام علي بن أبي طالب، ومن الجدير بالذكر إلى أن اسم «فيضي»، لا وجود له في تسلسل النسب ، بل انه أضيف إلى اسم سليمان نسبة إلى المشير أحمد فيضي باشا حينما كان في المدرسة الرشيدية العسكرية في بغداد، والتي ألحق بها عام 1899 للتمييز بينه وبين أحد الطلاب الذي يحمل الاسم ذاته.

واجه سليمان فيضي مشكلة أثناء دراسته مما استدعى طرده منها، وقد توجب عليه أداء الخدمة العسكرية ومدتها 6 سنوات ، لكنه نجح بالتخلص منها بوساطة أمير حائل ابن رشيد .

لدى عودته مكث في البصرة بانتظار وصول أمر الإعفاء. حيث عمل خلال ذلك في عدد من الوظائف ، منها مترجماً في الوكالة القنصلية الفارسية عام 1904 لإجادته الفارسية . كما عمل في قلم القضاء نظراً لإجادته التركية ولبراعته في الكتابة ، وقد ورد قرار الإعفاء في 20 /4 / 1904 ، غير أنه قرر البقاء في البصرة معللاً ذلك بقوله « ... يوم علمت نبأ القرار المذكور ، كان آخر خيط يربطني بالعسكرية قد انقطع منذ أمد بعيد ، فمهنة المحاماة كانت تدر علي أرباحاً ...». عقب ذلك قرر سليمان فيضي الزواج عام 1909 ، ومثل ذلك نقطة تحول في حياته ، فجند إمكانياته لخدمة ولاية البصرة وسكانها .

شرعت الباحثة في تتبع نشاطات سليمان فيضي بدءاً من المبحث الثاني والمعنون « دور سليمان فيضي في الحركة القومية العربية في البصرة 1908 – 1914» (ص 25 - 48) ، والملاحظ أن هناك ميلاً للإكثار من العناوين الفرعية ، ومثال ذلك البدء بعنوان «موقف سليمان فيضي من الانقلاب العثماني» (ص 25-27) وتم الاعتماد فيه على مصدر واحد فقط، كما يلاحظ أن هنالك نوعاً من عدم التقيد بالتسلسل التاريخي في تدوين الأحداث ستتم الإشارة إليه فيما بعد .

بدأ سليمان فيضي نشاطه المعرفي بافتتاح أول مدرسة أهلية في البصرة للتدريس باللغة العربية وسماها «تذكار الحرية» في 27 / 11 / 1908، وأعقبه بإصدار أول صحيفة خاصة في البصرة سماها «الإيقاظ»، ونشر عددها الأول في 1909/5/2 ، وأصدر منها 63 عددا ، إذ توقفت في 1910/9/29 بسبب سفر صاحبها للحج . واختتم سليمان نشاطه بتأسيس «الجمعية العلمية الأدبية» في آذار 1910 .

فيما يخص الشأن السياسي فقد بدأه بالانضمام إلى «الحزب الحر المعتدل» وهو أول حزب معارض يفتح له فرعاً في العراق بتاريخ 1911/8/6 ، وفي تشرين الثاني تغير اسمه إلى «حزب الحرية والائتلاف» برئاسة طالب النقيب ، وقد نجح الحزب بالفوز بـ 8 مقاعد بانتخابات عام 1912 ، على الرغم من تدخلات الاتحاديين الذين سارعوا بالاستيلاء على الحكم في 23 /1/ 1913 وبعد 3 أيام تم حل الحزب، ولكن أعضاءه عادوا للعمل في جمعية البصرة الإصلاحية والتي تأسست في 28/2/ 1913 وفاز مرشحوها بجميع مقاعد البصرة الستة في الانتخابات التي أجريت أواخر العام 1913 .

أسهم سليمان فيضي مع زملائه في «مجلس المبعوثان العثماني» مساهمة فعالة بالتنبيه

للقضايا العربية على الرغم من قصر مدة الانعقاد (5/14 - 1914/8/7). ولدى عودته إلى البصرة اشترك مع وفد كبير برئاسة طالب النقيب للتوسط بين ابن سعود والدولة العثمانية. كما كان شاهداً على محادثات السير برسي كوكس (sir Percy Cox) مع طالب النقيب .

شكل الفصل الثاني (ص83-152) أكبر فصول الرسالة وبحث دور سليمان فيضي في عهدي الاحتلال والانتداب البريطاني (1914-1932) . وهو ينقسم إلى قسمين يعنى أولهما بمرحلة الاحتلال (ص 83-106) ثم الانتداب (106-152)، واستهلته الباحثة باحتلال البريطانيين لمدينة البصرة في 1914/11/23، وأهم ما يسجل هنا هو الموقف السلبي الذي وقفه رجال الحركة الوطنية تجاه المحتل الجديد، فاختار بعضهم الرحيل، في حين فضل البعض الآخر البقاء والامتناع عن مزاولة أي نشاط سياسي يذكر ومنهم سليمان فيضي، الذي حدد البريطانيون إقامته تحسباً من قيامه بإثارة المتاعب ضدهم، لكنهم مع ذلك حاولوا استمالته إلى جانبهم للاستفادة من خبراته السابقة، وفي 1916/4/5 وصل الكولونيل لورنس (E.T.Lawrence) إلى البصرة، وبعد يومين استدعى سليمان فيضي وفاتحه بالعمل ضد العثمانيين من اجل فك الحصار عن البريطانيين في الكوت فجوبه طلبه بالرفض .

لم يمنع هذا الموقف سليمان فيضي من الانخراط في نشاطات ذات صفة غير رسمية بدأها بنشره مقالات في صحيفة «الأوقات البصرية» التي أصدرها البريطانيون ، كما انضم للمجلس البلدي الذي تأسس في 30 / 7/ 1918، واسهم في أنشاء «مكتبة التجدد» في آب 1919 .

انتقل سليمان فيضي إلى بغداد عقب تعيينه قاضياً في محاكمة الاستئناف بتاريخ 1 / 11 / 1919، وهو ما سمح له بالانضمام إلى فرع جمعية العهد ثم رئاسته لها فيما بعد، وقد عمل أثناء ذلك كمحاضر في مدرسة الحقوق التي افتتحت في 12/7 / 1919 ، كما وانتخب عضواً في الهيئة الإدارية لمدرسة التفيض بتاريخ 12/27 / 1919 .

شهد العراق حالة من الحراك السياسي عقب فرض الانتداب في 25 /1920/4، وكان من أولى علاماته قيام ثورة 1920/6/30 ، وقد امتنع سليمان فيضي عن مساندتها لعدم قناعته باللجوء إلى القوة ، وعقب ذلك انضم إلى لجنة الانتخابات بصفته نائبا سابقاً في مجلس المبعوثان ، وقد أسهم بشكل فعال في أعمالها بسبب خلفيته القانونية (ص 109 – 119) .

قدم سليمان فيضي استقالته من القضاء والتدريس في تشرين الثاني 1922 وعاد إلى البصرة بسبب خيبة أمله من إسناد منصب وزاري إليه ، وعكف على مزاولة مهنة المحاماة ، ثم عمل في

المحمرة للمدة (1923 - 1925) .

اشترك سليمان فيضي في انتخابات العام 1928 لكنه اخفق في الفوز بها، وقد اعتبره البريطانيون من ضمن أقطاب المعارضة (ص 129-131) وعزز هذا الرأي انتماؤه لحزب الإخاء الوطني[2] بزعامة ياسين الهاشمي والذي وقف بشدة ضد معاهدة 1930 وقانون رسوم البلديات الصادر في 2/ 6 / 1931 ، وقد اشترك بفعالية في الإضراب الذي شهدته البصرة مما دفع السلطات إلى نفيه إلى عانة للمدة 1931/10/22-7/24 .

إلى جانب نشاطه السياسي كان لسليمان فيضي أنشطة ثقافية واجتماعية إذ أسهم في إلقاء الخطب في مقهى الحمراء والنادي الأدبي في الموصل عام 1921 ، كما وشارك في تأسيس المعهد العلمي في بغداد في العام التالي ، وفي 31 / 8 / 1921 تقدم مع عدد من الأشخاص لتأسيس «الجمعية الخيرية الإسلامية» في بغداد ، وانتخب عضواً في مجلس الإدارة .

تطرق الفصل الثالث (ص 155-197) إلى دور سليمان فيضي في عهد الاستقلال وللمدة (1932 – 1949) ، وأود أن أشير هنا إلى أن هناك خطأ في العنوان فالمفروض أن ينتهي الفصل عند العام 1948 وليس 1949 ، لان آخر نشاط مسجل يعود لتاريخ 1948/3/4 وكما ورد في (ص232) .

من الممكن أن نقسم مادة الفصل إلى مرحلتين أساسيتين أولاهما تتمثل بانتخابه عضواً في مجلس النواب عن لواء البصرة (ص 155-166)، وهي تمثل ذروة النشاط السياسي والرسمي له، وقد ركز في مناقشاته على «جانبين مهمين من جوانب الحياة ، وهما الاقتصادي والاجتماعي، بسبب تأثيرهما المباشر في حياة الشعب العراقي ، لكن ذلك لم يمنعه من الالتفات إلى جوانب أخرى مهمة كالجانب العسكري ،إضافة إلى الموقف من بعض القضايا القومية وتميزت طروحاته عامة بالاهتمام بلواء البصرة ...» .

والملاحظ في هذا الفصل كثرة العناوين الجانبية ومنح مساحات لقضايا كان يمكن إدماجها ضمن عناوين أخرى سابقة في ما لو تم التقيد بالتسلسل التاريخي للأحداث، وهو ما كان سيمنح للرسالة مزيداً من التناسق ويبعد عنها صفة الإطالة في بعض المواقع، خصوصاً وأن سليمان فيضي اعتزل العمل السياسي والرسمي عقب انقلاب بكر صدقي في 1936/10/29[3] ، وكمثال على ذلك تضمنت الرسالة هذه العناوين (الموقف من: تمرد الاشوريين، وفاة فيصل الأول، وفاة ياسين الهاشمي ، وفاة الملك غازي) وجميعها في (ص 167 - 170) .

تمتع سليمان فيضي بشعبية واسعة بين البصريين وهو ما منحه الفرصة للإسهام في بعض الأحداث التي شهدتها المدينة عقب اعتزاله العمل السياسي وعلى مختلف الصعد وهو ما شكل المرحلة الثانية للمدة 1936-1949(ص166-197) ، ونذكر منها دوره مع بعض رموز المدينة في حفظ الأمن أثناء الحرب العراقية – البريطانية (2-1941/5/29) ، كما وساند القوى الرافضة للمعاهدة العراقية – البريطانية للعام 1948 .

على الصعيد القومي اشترك سليمان فيضي في الهيئة العليا لجمعية الدفاع عن فلسطين عام 1937 وأسهم في جمع التبرعات للمجاهدين في حرب عام 1948 عبر تأليف «لجنة إنقاذ فلسطين» التي كان أحد أعضائها المؤسسين .

وينتهي هذا الفصل مادته بتوثيق أنشطة سليمان فيضي في المجال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي (ص 182 - 197) منها (نادي المهلب بن صفرة، وجمعية بيوت الأمة، وجمعية التمور العراقية، وغرفة تجارة البصرة .... الخ) .

تضمن الفصل الرابع (ص201-219) نتاج سليمان فيضي الثقافي 1909-1951والملاحظ هنا أن محتويات الفصل كان من الممكن إدماجها ضمن مادة الفصول السابقة وحسب التسلسل التاريخي حتى انقلاب بكر صدقي ؛ أما في ما يتعلق بأنشطته بعد هذا التاريخ فكان من الممكن دمجها مع القسم الثاني من الفصل الثالث ليتتبع الفصل المقترح (الرابع) أنشطة سليمان فيضي منذ اعتزاله السياسة وحتى رحيله. إذ اصدر خلالها 12 مؤلفاً في القانون والأدب والزراعة إضافة إلى مذكراته المنشورة ، كما وأن له 3 مؤلفات غير منشورة ، في حين نشر 89 خطبة ومقالة خلال المدة (1909 – 1948).

وتختتم الرسالة بجداول تضمنت جردا لما نشره سليمان فيضي من مقالات وخطب في الصحف ، إضافة إلى مراجعة للأخطاء الطباعية والتاريخية للطبعة الأولى من المذكرات ، وأخيرا شملت الرسالة 18 ملحقاً تضمنت وثائق مصورة أضافت قيمة علمية كبيرة لمحتويات هذه الرسالة العلمية المتميزة .

الهوامش.

1. للتفاصيل ينظر :- حسين هادي الشلاه ، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1970.

2. تأسس هذا الحزب في 1931/11/20 ، وضم القوى المعارضة لمعاهدة 1930وتزعمه رشيد عالي

الكيلاني ، ثم أعقبه ياسين الهاشمي ، وعند توليه رئاسة الوزراء للمرة الثانية في 1935/3/17قرر حل الحزب بدءا من 1935/4/17. للتفاصيل ينظر :- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية، ط2 ، بيروت ،1983،ص-114 121.

3.شهدت المدة -1935 1937 جملة من المتغيرات السياسية ، منها توقف النشاط السياسي الحزبي الذي استمر حتى نيسان 1946 ، في حين غابت بعض الشخصيات المهمة ، إذ توفي جعفر العسكري وياسين الهاشمي ، كما اعتزل محمد جعفر أبو التمن وحكمت سليمان السياسة . للتفاصيل ينظر :- صفاء عبد الوهاب المبارك ،انقلاب سنة 1936 في العراق – ممهداته ،و أحداثه ، ونتائجه، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1973.